الى هذه الدرجة : حجارة مرصوفة بشكل مستطيل ، صورة بالاسود والابيض وبدون اطار ، بقع من الشمس ، بقع من الظل ، اصوات قريبة لاطفال يلعبون في التراب ، هدير سيارات ... وكان جسده قريبا من الرصيف القريب من الاسفلت ·

... وبين العاشر من تموز ـ ٧٢ ـ والثالث عشر من نيسان ـ ٧٥ ـ ، كانت المقبرة تتسع بصمت · وكنا نخاف ، ونستبعد التفكير في اسباب اتساع المقبرة ...

ولكن بيروت لم تعد حديقة ومائدة للكتابة والعزف على العواصم ·
لم يعد الموت خرافة ، ولم يعد الشعر خرافة ·
بيروت وحدها الان ، عائمة على الصراخ والقتلى والحبر والدم والنفط ... والعواصم » ·

وفي العدد الصادر في ٩ تموز ١٩٧٨ من مجلة « الحرية » البيروتية ، كتبت « ليانة بدر » في الصفحة الاخيرة من المجلة خاطرة عنوانها : « في الذكرى السادسة لاستشهاد غسان كنفاني : عاشق ابدي وبطل لا ينحني » ، جاء فيها:

« فتح بوابة الموت وعبرها دون ان يهوي ·
وضع الرمح على الرمح ، القوس فوق القوس ، واطلق جسده متشظيا على عتبة الزمن الاتي ·

غسان كنفاني لم تقتله العبوة الناسفة · ففي سماء الادب والنضال استمر دوره الطليعي والريادي ينفض الغبار والصدى عن المرتينة ، ويعيد للعشق الفلسطيني وهجه والتماعاته في فضاء الشعب والتاريخ · وهل تستطيع الشظايا ان تغتال الرمز والفعالية ؟ رمز نهوض الشعب الفلسطيني الذي رصده غسان في كتاباته من مرحلة الغيتو والحصار الى زمن التصدي والمقاومة · وفعالية الادب العظيم يلتصق بخلايا ذاكرة الشعب وهمومه ولحمه ، حين لم ينقطع الجسد عن النزيف منذ عشرات السنين ·

لقد صاغ غسان كنفاني انتفاضات الحلم الفلسطيني مؤشرا حقيقيا على انتهاء ايام القهر والهزيمة · ومن «أم سعد» الى «عائد الى حيفا» الى «الرجال بالبنادق » تراجعت مساحات القهر الشاسعة التي حاولوا كتابتها على جبين الشعب الفلسطيني · وفي جميع كتاباته عانق غسان واقع التشرد والاقتلاع الذي حاولوا ان يرسموه اغلالا وفجيعة في تاريخنا العربي الحديث ، كي يخرج منه الى جدل الواقع والتاريخ ، والى ضرورة الثورة المقبلة تعطي نقيض الذل والقهر والحرمان · وفي كتابات غسان كنفاني ، حضرت فلسطين كما يجب ان تحضر · فمن واقع شعبه اليومي والحياتي اعطيت للكتابة الحقيقية على يديه مكانها وجدارتها الاصلية : واصبح ابطاله رجالا يتلاقون مع الهزيمة كي يقهروها ولا تقهرهم ، كي يواجهوها دون ان تبتلعهم ·

غسان كنفاني عاشق ابدي وبطل لا ينحني · فتح بوابة الموت وعبرها دون ان يهوي · تضرج « برقوق نيسان » بدمائه ، و « بالاحمر والاخضر » خط تاريخ تطور الادب الفلسطيني في قلب النضال ولهبه » ·

« بعد ست سنوات من استشهاده يبدو غسان كنفاني حاضرا يتدفق حياة وتفوح من كلماته رائحة فلسطين ، وتعبق لوحاته بألوان القدس والخليل وبيسان ··

غسان كنفاني الشاهد ·· غسان كنفاني الشهيد ·· وجهان لانسان واحد ، لكلمة واحدة ، لبندقية واحدة » · **بهذه الكلمات قدمت مجلة « الكفاح العربي » الملف الخاص عن « غسان كنفاني : ٦ سنوات حياة ·· بعد الشهادة » الذي ضم كتابات لكل من ياسين رفاعية ، رشاد ابو شاور ، عدنان مدانات ، اضافة لنشر لوحات « الشيخ » و « نساء » و « القارىء » للشهيد غسان ·· ومقتطفات من مقدمة محمود درويش للمجلد الرابع ·· ومقابلة مع المناضلة « آني كنفاني » اجرتها « منى غندور » ·**

وقد جاء في كتابة « ياسين رفاعية » بعنوان : « ذكريات ·· وغسان كنفاني » ·

« كان يدخن بشراهة ، السيجارة تلو السيجارة ، وكان لا ينتبه احيانا ان سيجارته لم تنته بعد ، فيشعل اخرى ·
قال ثانية : :
ـ لا اخفي عليك ياسين ·· انني حتى في حالات عشقي وعواطفي ·· لا

لميس

افكر بالحبيبة الا من خلال فلسطين يخيل لي دائما ، انني ارحل معها الى يافا ، اسبح معها في بحر يافا ، اطعمها برتقال غزة وليمون الجليل · هكذا هاجسي الدائم » ·

« آني » و « لميس »

وقال « ياسين رفاعية » في ذكرياته عن غسان :

« يوم استشهد ظللت ساعات ساعات · ولعلني تساءلت في لحظة ما من تلك اللحظات : ماذا كان شعوره لحظة انفجر ؟

كان يتوقع ذلك · كان يتوقعه بالتأكيد · ولكن هل كان يتوقعه على هذه الصورة ، وابنة اخته لميس الى جانبه ؟

تصورت انه رفع قبضته بغضب · لا من اجله ، هو نذر نفسه للشهادة · ولكن من اجل لميس الشابة الجميلة التي ما كان لها ذنب ، سوى ان تكون الى جانبه في تلك اللحظات الرهيبة ·

من هنا ، اعتقد ، ان غسان استشهد وهو يبكي : كيف قتلوا معه لميس ... لماذا ؟ كان يحبها ، وكان قد وعدها بالنزول من الحازمية الى بيروت لشراء الهدايا التي كانت تحب أن تحملها الى الكويت · ما كان · ما كان يعرف ان نعشها ايضا سيحمل الى جانب نعشه على الاكف ، معا في جنازة الشهادة ·

كان قدره الشهادة ، لكن حزنه كان اكبر على لميس » ·

وفي عددها الصادر في ٨ ـ ٧ ـ ١٩٧٨ ، كتبت صحيفة « فلسطين الثورة » مقالا بعنوان « غسان كنفاني عاد الى حيفا » نقتطف منه :

« اشعلوا النار فليلة ٨ نيسان يعود غسان ·
فيه عشق للنـــــار ...
يجيء حتى اخر الليل ـ فارسا ... وتجيء لميس بين احضانه اعشوشبت هذه المرة كأرض من ربيع ، اعشوشبت بين جناحيها تنمو بيارات كثيرة ، الليلة لا مسافات بين العاشق والعاشق ، في الحياة التقيا ، وعلى الرحيل

آني وغسان

التقيا ولكنهم ابدا في العودة لن يعودا بائسين كأطفال المخيمات ·

عند بداية ما ـ في التقاء الشعب مع الحقيقة سيأتي غسان ماثلا في الجرح ، ستذكره كل الاعين التي ودعته ، لكنها لن تراه ثانية الا في حيفا ـ على بعد امتار من حديقة جميلة اغصانها من حديث الشجر عن انقطاع العاشق سنوات طوال ـ عن ذكرى النكبة التي آلت الى زوال ، وهناك سنسمي الشجر باسمائهم اولئك الشهداء » ·

هل تلعب الانظمة العربية لعبة اميركا ؟

ان تكتيك « تقادم الامر الواقع » هو محور اساسي في السياسة الاسرائيلية منذ انبثاق الحركة الصهيونية · واي دارس لهذه السياسة ستظهر له مركزية هذه التكتيكات التي هي شكل من اشكال الابتزاز الامبريالي في العصر الحديث ...

... ان ما يناسب اسرائيل تماما هو استمرار لعبة « المساعي السلمية » ، هذه اللعبة التي تشكل افضل ستار ممكن لتكتيكات تقادم الامر الواقع ...

... ان الامبريالية تضبط حاليا ردود الفعل المحتملة لهزيمة ١٩٦٧ ، وكذلك نتائج السياسة الاستسلامية التي تنتهجها الانظمة العربية ، وهي تدرك ان ردود الفعل هذه ، على المدى المنظور ، لن تكون مثل تلك التي حدثت في ١٩٤٨ ، اي لن تكون الى الامام ... هذه المرة ستكون باتجاه اليمين ...

غسان كنفاني

الهدف ـ ١٤٧ ـ ١٩٧١/١١/٢٠

وفي الملف الذي خصصته « الكفاح العربي » لذكرى غسان ، قالت المناضلة « آني » زوجة غسان : « اعطاني غسان قضية ، شغلتني عن التفكير به الا من خلالها (··) لا وقت للفراغ عندي ، انني مشغولة بثورة غسان التي اعطيتها كل حياتي ... ألم يكن هو يريد لي ذلك ·· الا يفرح الان من اجلي ، وهو يرى انني اربي للقضية الف الف غسان كنفاني ؟! » · **واضافت آني :**

« لغسان كنفاني مؤلفات قصصية للاطفال نشر منها بالاشتراك مع دار « الفتى العربي » قصة « القنديل الصغير » والدافع لكتابة هذه القصص حب عظيم عاش في حنايا قلب غسان وهو حب لميس ابنة اخته التي استشهدت معه يوم الحادث المشؤوم » ·

وفي مقدمتها للمقابلة مع « آني كنفاني » قالت « منى غندور » :

« وكل عام يحتفلون به عرسا من الشهادة ، وترف اليه آني من جديد · ذات يوم في رحلة نضاله القصيرة ، التقى بها غسان كنفاني في الدنمارك · احبت قضيته قبل ان تحبه ، وآمنت بثورته قبل ان تؤمن به · هكذا شد كل منهما يده على الاخر ، وتعاهدا معا ، ان يبقيا في الثورة ، وفي البيت · وفجعت عندما مزقوه بقنبلة ، وبعثروه اشلاء · لكن الفجيعة تحولت فيما بعد الى اصرار على متابعة النضال ومسيرة الثورة » ·

وفي عددها الصادر في ٤ ـ ٧ ـ ١٩٧٨ ، نشرت جريدة « البعث » السورية مقالا بعنوان « ذكرى الامل » كتبه « عبد الله ابو هيف » نقتطف اهم ما جاء فيه :

« صادف يوم امس الذكرى السادسة لوفاة غسان كنفاني · ففي الثامن من تموز عام ١٩٧٢ ، نسفوه بالديناميت فامتزج دم الشهادة بتراب الوطن ، فصار غسان كنفاني علامة على صحو الامة وعلامة على صحو الكاتب والمثقف في وجه الاعداء · لقد اغتيل غسان كنفاني قبل ست سنوات برصاص الاعداء الداخليين والخارجيين ، واثبت بما لا يدع مجالا للشك ان الثقافة الثورية سلاح يضاف الى اسلحة الثورة الاخرى · انه البرهان الساطع على اهمية الثقافة في نزال اعداء الحياة · وارتباط الثقافة بالحياة في النهاية ، فكان غسان كنفاني تجسيدا حيا لاندغام الموت بالحياة في آتون القضية النضالية : قضية فلسطين وقضية الامة العربية ·

وقد كان ادب غسان كنفاني مصداقا للانتماء الى وجدان الامة وبلاغة اقتدارها على مجابهة الاعداء ، فكتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقالة والبحث ، وانخرط في خضم العمل السياسي ليشيع فكرة وطنية تقوم الممارسة السياسية وتضيء آفاق المستقبل ، وقد انطبقت الحقيقة الفنية على الحقيقة التاريخية بصورة مدهشة ، فكانت كتابته وحياته دليلا ·

ولد الشهيد غسان كنفاني في عكا في التاسع من نيسان عام ١٩٣٦ ، وفي عام ١٩٤٨ نزح مع اسرته الى لبنان ثم الى سورية حيث عاشوا فترة في حلب ثم استقر بهم المقام في دمشق · وفي عام ١٩٦٠ ، انتقل الى بيروت ، وظل والمجلات ، بحثا عن رأيه في موته ... ولكن آلات المطابع دارت بدون رأيه ذلك الصباح · ومشت الجنازة الاولى التي لم يمشها غسان كنفاني · كان ثابتا وموزعا بين التابوت في مقدمة الجنازة وجدران المدينة ···· وادار المشيعون يكتب لفلسطين والثورة العربية ويساهم في العمل السياسي ، وفي المجالين اعطى الاعتبار لدور الوعي في الفعل الوطني تتويجا لالتحام الفكر بالممارسة فكان احد قياديي الجبهة الشعبية والمتحدث الرسمي بأسمها ورئيس تحرير مجلة الهدف الفلسطينية ، وقد رافق منذ حضوره الى بيروت الثورة الفلسطينية مبشرا بانطلاق رصاصتها الاولى وداعيا الى انتصارها في مسارات واسعة تؤكد فعلها الكبير في تغيير الواقع العربي ، لانها من المستقبل · لم يكتف غسان كنفاني بالكتابة بل شارك في الاحداث وصاغ في كتاباته وحياته نموذج المثقف العربي الثوري · ومثلما كانت كتبه الاحد عشر تعبيرا عن نمو وعي الفعل العربي لذاته ، فان استشهاده يعطي التجربة معنى انتصار الفعل العربي على ذاته ويؤكد مدى فعالية الوعي في حياة الامة » ·

●●●

كتابات اخرى في ذكرى غسان لعمار مصارع ، ومحمد فرحات ، ورشاد ابو شاور ، وعدنان مدانات ، وغيرهم ننشرها كاملة في مكان اخر من العدد ·